ونحن ذاكرون من شعره ما يحتمله المقام ، فمن ذلك مرثيته فى الخديو محمد توفيق باشا وقد أشار اليها فى كتاب أرسل به من يافا فى ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ يقول فيه « غمنى وكدرنى موت الحضرة الخديوية لأمور : (أولاً) فلعفوه عنى واحسانه إلى ، (ثانياً) لسابقة معروفه معى وتوجهاته السابقة ، (ثالثاً) لصغر سنه ، (رابعاً) لصغر سن أنجاله ، (خامساً) لصغر سن حرمه وما تقاسيه من حزنها عليه لما كان بينهما من شدة الألفة والمحبة (سادساً) لأنه كان برزخاً بين مصر وبين نكبات انكلترة وغيرها والله تعالى يجرى الأمور على السداد ، وسأبعث بمرثية رثاه لحضرة ولدى مصطفى بك ماهر رئيس ترجمة ديوان الحربية ليطبعها وينشرها على حدتها » انتهى ما نقلته من خطه ، ولم أقف إلا على ثلاثة أبيات منها ذكرها المترجم بالأستاذ وهى :

ما للكواكب لا ترى فى المرصد ... والكون أصبح فى لباس أسود
عم الكسوف الكل أم فقد الضيا ... أم كلنا يرنو بمقلة أرمد

وتاريخها

فلائك الجنات قالت أرخوا ... توفيق فى عز النعيم السرمدى

١٣٠٩

ومن مختار شعره قوله من قصيدة لم نعثر منها إلا على هذا القدر

سيوف الثنا تصدا ومقولى الغمد ... ومن سار فى نصرى تكفله الحمد

ومنها

ومن عجب الأيام شهم أخو حجا ... يعارضه غر ويقحمه وغد
ومن غرر الأخلاق أن تهدر الدما ... لتحفظ أعراض تكفلها المجد

ويقال انه نظمها بحضرة شاهين باشا تبكيتاً لمن زعم قصور الشعراء عن معارضة أبى الطيب المتنبى فى قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بد

قلت : بين القولين فرق ظاهر للمتأمل ، وأين الثريا من يد المتناول ؟ ومن شعره قوله أيام اختفائه ، وكتب بها الى صديق له يسليه على نازلة نزلت به :

يا صاحبى دع عنك قول الهازل ... واسمع نصيحة عارف بالحاصل
اجعل تجد صفو الزمان فانه ... من قسمة القدم النبى الجاهل
ودع التعقل بالتغفل يستقم ... أمر المعاش لحظه للغافل
وارض البلادة تغتنم من بابها ... مالاً وجاهاً بعد ذكر خامل
واذا أبيت سوى العلوم فلا تضق ... بحروب دهر لا يميل لفاضل

كيف تهدى العروس الى زوجها

فى حضرموت ؟

مشهد من رواية شعرية تحت الطبع باسم « هام أو فى عاصمة الأحقاف »

للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » . فيا بعد منتصف الليل يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفها الى بيت « هام » تتوسطهن «حسن» عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع والمصابيح . تتقدمهن القينات بأيديهن الدفوف ومن يتغنين بينما الجمهور يتحرك ويتجه فى سير بطىء الى جهة بيت « هام » :

القينات : نحن نزفُّ الشَّما ... والشمسُ فى ضُحاها
فما أجلَّ عُرْسا ... يغمره ســـناها !

الجمهور : نحن نزف الشما ... .

. . . . . .

القينات : نحن نزف الحيا ... نحن نزف المُنى !
نحن نزفُّ الضيَّا ... نحن نزف الـــسنا

الجمهور : نحن نزف الشما ... .

. . . . . .

القينات : يا عُصبة الغوانى ... هلمَّ للتطريب !
اشدُون بالأغانى ... واهتفن بالنسيب

قلب تواريخ الأولى سبقوا تجد ... دنياك ما قيدت بغير الباطل
تجد الأفاضل فى الزوايا كلهم ... حال الحياة وبعدها بمحافل
العلم ستر كالسحاب به ترى ... شمس الحقيقة خلف ذاك الحائل
هل أبصرت عيناك ديواناً به ... مدح البليغ جميل سعد حافل
ان قلت أى، فاذكر لنا من تاله ... أو لا، فعش كالناس فى ذا الساحل
ضدان لا تلقاهما فى واحد ... مال الغبى وحكمة للكامل

ثم ذيلها بنثر أضربنا عن ذكره . ومنه قوله وضمنها كتاباً كتبه مدة اختفائه لأحد أصدقائه :

وبعد فهذا شرح حالة غائب ... عليه من اللطف الخفى ستور
تدور به الأهوال حول مدارها ... فيصبر والقلب الرضى صبور
عسى فرج يأتى به الله انه ... على فرجى دون الأنام قدير

واضمِدْن بالأمانى دوامىَ القلوبِ !

الجمهور : نحن نزف الشـا . . . . . .

. . . . . .

القينات : حيِّين بالسَّلامِ هذا الشُّعاع المَكُوبْ
وافتأنَ بالأنغامِ كل حزين منكوبْ

الجمهور : نحن نزف الشما . . . . . .

. . . . . .

القينات : رائحُ الجِنانِ تعبَقُ من هذى الدُّورْ
كأنما المغانى أمستْ مراقصَ الحُورْ !

الجمهور : نحن نزف الشما . . . . . .

. . . . . .

القينات : نحن نزفُّ الملكْ فى صورة الإنسانْ !
يجلو ظلام الحلكْ ويقشع الأحزانْ
فهل لديكم فلكْ بنوره يزدانْ ؟!

الجمهور : نحن نزف الشما . . . . . .

. . . . . .

القينات : يا قمر السماء غُضَّ الجفون أغضِ !
بالذِّكر والأسماء عوَّذْتُ بدرَ الأرض

الجمهور : نحن نزف الشما . . . . . .

. . . . . .

(على مقربة من بيت « هام »)

القينات : سُقْنَ الى هُمامِ جمالَ هذا النَّادى
واحدُونَ للضِّرْغامِ لباةَ هذا الوادى !

الجمهور : نحن نزف الشما . . . . . .

. . . . . .

(فى الطابق العلوى من دار الزوج « هام » حيث تستقبل نسوة الدار النسوة اللاتى زففن العروس . تتجاذب نسوة الدار الى جهة ، ونسوة الزفاف الى جهة ، والقينات فى الوسط يضربن بالدفوف .)

القينات : أليُمْنُ والإقبالُ والسَّعد والسعادَهْ
للعُرْسَيْنِ فالُ والفضل والزياده

شاعرة نسوة الزفاف ثم سائرهن :

نحن نزف الحُسْنا نحن نزف لُبْنى فهل لديكم من قَيْس

شاعرة نسوة الدار مجيبة ، ثم سائرهن وهكذا فى باقى الأبيات :

هُمانا كالمأمو ن إن زففتُم بُوران
وإن تكُن بُلقيساً فإنه سُليمان !

نسوة الزفاف : ألنَّصر للعروسَهْ

نسوة الدار : بل هو للعروسِ

نسوة الزفاف : للدُّرَّة النفيسه

نسوة الدار : للجوهر النفيسِ

نسوة الزفاف : للحُرَّة المَصُونهْ وربَّة الجمال
للدرة المكنونهْ واسطةِ اللآلى !

نسوة الدار : لِمَفْخَر المدينهْ لسيِّد الرجال
الناسُ يعرفونهْ بكرَم الخِلال !

نسوة الزفاف : ألنُّورُ والشُّعاعُ ووَهَجُ الشُّموسِ
والجوهر اللَّماعُ وحَبَبُ الكؤوسِ
جميعُها أشاعُ لهذه العَروسِ !

نسوة الدار : ألمجدُ والكمالُ وكرم الأخلاق
والقولُ والفعالُ وحَسَبُ الأعراقِ
جميعهنَّ آلُ عروسِنا الغَيْداق

القينات : كِلا العَروسَيْنِ زَيْن للمجد والعلاء
فلا تفاضلْنَ بَيْن سراجَى السماء !
أين المجرَّة ؟ أين كواكب الجوزاء ؟
أصوغهنَّ لِذَيْن تاجَيْنِ بالسَّواء

***

القينات ثم الجميع بصوت واحد :

يا رب بارِكْهُما فى ذا الزواج السَّعيدْ
واجعلْ زمانَهما كأنه يوم عيد

***

وانفحهما بالوَلَدْ مثل درارى النجومْ !
فى ظل عيش رَغَدْ رفيِّ صفاء يدومْ
على أعمِ باكثر